الفصل الثامن

الدراما التسجيلية

الدراما التسجيلية

☆☆☆☆☆

خصائص الفيلم التسجيلي الدرامى :

يمكن تحديد خصائص الفيلم التسجيلي الدرامى فيما يلي :

١ – أن تكون قصة الفيلم حقيقية مأخوذة من الواقع دون أى تدخل خيالي فيها ومع أقل ما يمكن من التعديلات التي قد تفرضها طبيعة العمل فى الأفلام .

٢ – أن يقوم بتمثيل كل أو بعض الأدوار ممثلون محترفون من غير النجوم ومن غير المشهورين يرتدون نفس الملابس التي يرتديها الناس العاديون ويقلدونهم بدقة وبدون أى تصرف يفسد جوانب الشخصية كما هي فى الواقع

٣ – أن يتم التصوير فى الأماكن الحقيقية كلما أمكن وعند الضرورة يمكن التصوير فى ديكورات مبنية داخل الاستديو أو خارجه وتكون مضاهية تماما للأماكن الحقيقية بكل تفاصيلها الدقيقة وبلا تجريد .

٤ – أن تكون المعالجة الدرامية مجرد إطار لعرض القصة التسجيلية بكل عناصرها الواقعية أو لعرض المعلومات العلمية بطريقة مبسطة (١).

وانطلاقا من هذه الخصائص الأربعة للدراما التسجيلية ، فإنه تنشأ بعض متطلبات إضافية ينبغى على كاتب السيناريو وعلى المخرج الاهتمام بها وهو يقوم بالعمل فى مرحلة البحث وجمع المعلومات الخاصة بالفيلم .

فتكون هناك بعض المعلومات الإضافية التي يتحتم عليه الاهتمام بها . وإنه ما دمنا سنلجأ إلي تصوير بعض أو كل مشاهد الفيلم فى الاستديو بواسطة ممثلين فإنه ينبغي علينا أن نجمع المعلومات الآتية بالإضافة إلي باقى المعلومات الأخرى الخاصة بالفيلم ، وهذه المعلومات الإضافية هي :

١– **الناس** : فيجب جمع معلومات تفصيلية عن الناس أبطال موضوع البحث ، كيف يتحدثون ، وكيف يخاطب بعضهم بعضا فى مختلف الأوقات والمناسبات ؟

وما هي العبارات التقليدية والتركيبات اللغوية التي تشكل أسلوب تفاهمهم ولغة حديثهم اليومى ؟ .

وما هو شكل ملابسهم وكيف ومتى يرتدونها ؟ وما موقع كل منهم من محيطة ومن عمله الذي يتصل بموضوع الفيلم ؟ ومن هم الناس الذين يتعاملون معهم ؟ وبتعبير آخر الدخول فى أعماق هذه الشخصيات ، لمعرفة كافة المعلومات الضرورية عنهم عن حياتهم العامة والخاصة .

٢- **المكان** : فيجب تجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات التي يعيش فيها هؤلاء الناس ويتعايشون وأماكن ترددهم وتعاملهم وعملهم ، فالمعروف أن هناك قدرا كبيرا من التفاعل بين الناس والأبنية والأماكن التي يعيشون أو يعملون فيها أو التي يترددون عليها بصفة دائمة مثل المقهي أو النادى أو السوق ، وقد يكون مفيدا لو تم عمل رسوم توضيحية لهذه الأماكن أو تسجيل صور فوتوغرافية لها

٣- **الزمان** : فيجب أن يتحدد بدقة زمن وقوع الأحداث موضوع الفيلم وذلك لاختيار الملابس المناسبة لهذا الزمن كزمن تاريخي أو كفصل مناخى من فصول السنة .

٤- **القصة** : فيجب البحث عن قصة حقيقية فى إطار موضوع الفيلم نأخذها من الواقع المحيط بالموضوع ويراعى أن تخدم الفكرة الأساسية لفيلم وأن تعطى باختصار صورة جيدة وشاملة عن الموضوع ، وأن تقدم مادة خاما لتكوين درامى سليم بعيدا عن الخيال والتأليف (٢) .

هذه هي باختصار المعلومات الإضافية التي يجب جمعها ونحن فى صدد البحث لموضوع فيلم من أفلام الدراما التسجيلية وذلك بالطبع إضافة إلي كافة المعلومات الأخرى الواجب تجميعها قبل محاولة كتابة سيناريو الفيلم التي سبق بيانها بالتفصيل فى فصل سابق . وأنه بدون هذه المعلومات جميعها لن يتنسى صياغة سيناريو جيد للفيلم حيث أنه ليس هناك مجال لأى خيال قد يقلل من صدق المادة ، أو يجعل المشاهد يفقد الثقة فيما يقدم له .

والمسألة ليست بالبساطة التي يعتقدها البعض . فهي ليست مجرد تقديم أى حدث تسجيلي عن طريق أى حوار يؤديه أى ممثلين فى أى ديكور مناسب وإنما هو حوار يستخدم نفس الألفاظ والتعبيرات الواقعية للناس أبطال الفيلم .

ويؤديه ممثلون يجسدون جسمانيا ونفسيا هؤلاء الناس أبطال الفيلم وذلك فى نفس الأماكن الحقيقية وأنه بغير ذلك لا تكون الأفلام مقنعة ولا يمكن وصفها بأنها تسجيلية .

وقد حققت حركة أفلام الدراما التسجيلية انتشارا مقترنا بالنجاح الملحوظ فى العديد من دول العالم وخاصة من خلال محطات التليفزيون . وأصبحت تمثل حجما من الإنتاج لا يستهان به ولكن هذا لم يضعف من حركة إنتاج الأفلام التسجيلية غير الدرامية التي ظلت محافظة على خصائصها .

ولها عناصر إبداعها وتمتلك عناصر التشويق الخاصة بها والنابعة من طبيعتها التسجيلية فن له عناصره أيضا ولكل منهما مبدعوه ولكل وظائفه وأن اتفقا فى النهاية فى الهدف وأن كليهما يمثلان المعالجة الإبداعية للواقع (٣) .

الدراما التسجيلية (الدوكيودراما) أو استخدام الممثل فى الفيلم التسجيلي :

ظلت مشكلة استخدام الممثل فى السينما التسجيلية من أعقد وأبرز المشاكل التي تواجه العاملون فى حقل إنتاج الأفلام التسجيلية ودار حولها الكثير من النقاش والجدل الذي لازال مستمرا ساخنا حتى وقتنا هذا .

وقد ظهر اتجاهان لكل منهما رأيه المختلف فى هذا الموضوع :

الرأى الأول : يقف بصرامة ضد استخدام الممثل فى الفيلم التسجيلي ويستند فى ذلك على القواعد الثلاث التي نادى بها رائد السينما التسجيلية جون جريرسون والتي تقضى بأن يكون موضوع الفيلم التسجيلي وشخوصه ومناظره من الواقع نفسه وليس فيها أى تأليف أو تخيل وفى إطار هذا الاتجاه تظل موضوعات الأفلام التسجيلية تعتمد على الملاحظة لأحداث الحياة اليومية للأبطال الحقيقيين لها دون اللجوء إلي استخدام الممثل المحترف فى إعادة تمثيل بعض الأحداث .

فعندما يقوم المخرج التسجيلي بإخراج فيلم عن موضوع تسجيلي ما فإن المشاهد لذلك الفيلم لن يتوقع أن يرى نجوما معروفين ولا ممثلات حسناوات وإنما سيرى

أناساً عاديين يمكنه التعرف عليهم كنوع من البشر يراهم فى أى شارع أو فى أى مكتب أو فى أى مصنع أو فى أى مكان آخر وهم بالتأكيد أناس يسيرون على النهج الطبيعي فى الحياة وفى السلوك العملى وفى علاقاتهم بالآخرين وفى بناء الأسرة مع الاحتفاظ لكل شيء بنسبه الصحيحة (٤) .

الاتجاه الثانى : ينادى بعكس ذلك ويرى أن استخدام الممثل فى السينما التسجيلية إنما يثرى العمل ويعطى أبعاداً تعبيرية جديدة للأفلام التسجيلية وذلك لارتباط المشكلة أصلاً بظهور الإنسان بشكل بارز فى السينما التسجيلية وقد ظل الاتجاه الأول لفترة طويلة هو السائد وكانت صور التمثيل المسموح بها فى الأفلام التسجيلية هي مجرد تدخل المخرج ولجوئه إلي إقناع بعض الأشخاص العاديين أبطال فيلمه بإعادة تمثيل بعض أحداث حياتهم من جديد أمام الكاميرا .

وأبرز صور هذا تبدو فى فيلم نانوك رجل الشمال إخراج فلاهرتى فرغم أن الفيلم قد صور بأسلوب الملاحظة الطويلة إلا أن فلاهرتى لجأ فى بعض مشاهد الفيلم إلي أن يدع بطله يعيد تمثيل بعض الأحداث من جديد أمام الكاميرا .

ويكون فلاهرتى بذلك هو أول من اكتشف عناصر التمثيل فى السينما التسجيلية أو ما يسميه البعض بعناصر التمثيل التسجيلي فى السينما التسجيلية .

وحين دخل التليفزيون بثقله الإنتاجى والإعلامي الكبير فى مجال إنتاج وعرض الأفلام التسجيلية ظهر فى التليفزيون البريطانى أول شكل للفيلم التسجيلي الذي يستخدم فيه الممثل المحترف وكان ذلك بداية ظهور شكل جديد من أشكال السينما التسجيلية عرف باسم الدراما التسجيلية أو الدوكيودراما Docudrama وانتشر بعد ذلك فى مختلف محطات التليفزيون (٥) .

ويعتمد أنصار الاتجاه الثانى على حقيقة مهمة أنه طالما كانت السينما التسجيلية مدعوة لكشف وتحليل عصرنا عن طريق الوثائق السينمائية فإن هذا يجيز لها الاعتماد على جميع الوسائل التعبيرية الممكنة ومنها الممثل متى اقتضت الضرورة. وعلى ألا يؤدى ذلك إلي فقدان الثقة بصحة وصدق المواد المعروضة وأنه طالما أن السينما التسجيلية التي تتصل بأعمال النفس البشرية ومعاناتها تحتاج إلي الوسائل التي تساعدها فى الوصول إلي ما فى النفس البشرية من تناقض وتعقيدات .

وقد يصعب تحقيق ذلك عن طريق وسائل السينما المباشرة فالمعروف أن الكاميرا تصور سطح الأشياء التي تصورها وتعجز بمفردها عن الدخول إلي أعماق النفس البشرية ومن ثم يصبح من الممكن اللجوء إلي مساعدة الممثل المحترف(٦

ويحدد بعض أنصار وصانعى أفلام الدراما التسجيلية الدواعى التي تتيح لهم استخدام الممثل فى الفيلم التسجيلي .

فيقول المخرج الهولندى بورى ايفانز : " هناك حيث نحتاج إلي كشف التطورات الذاتية والنفسية الإنسان فإنه يتعذر علينا أن نستغنى عن الممثلين وفنهم فى التجسيد والتعبير " .

ويقول **بول روثا** : " إنه متى عجز المخرج عن العثور على شخص يتفق جسمانيا ونفسيا مع الشخصية التي يريد أن يعرضها فإنه قد يضطر إلي استخدام ممثل مدرب لتقديم هذه الشخصية " .

ويزايد البعض على ذلك فيقولون إن التمثيل ضروري ليس فقط عندما يحتاج المخرج إلي وصف التطورات النفسية والشخصية بل وأيضاً عندما يحتاج إلي بناء الأحداث من جديد متى كانت هناك ضرورة لذلك أو قد يستخدم التمثيل كإطار لشرح بعض المعلومات العلمية الجافة بشكل مبسط يفهمه الجمهور المستهدف .

ويتفق فكر السينما التسجيلية المصرية من خلال فكر روادها مع الاتجاه الأول الرافض لاستخدام الممثل المحترف فى السينما التسجيلية وان سمح مع التحفظ بتدخل المخرج لإعادة تكوين الأحداث أمام الكاميرا من خلال نفس شخوصها وفى نفس أماكنها الحقيقية .

وتتجه نظرتهم بالرفض للأعمال التسجيلية التي تستخدم الممثل المحترف وترفض اعتبارها ضمن إنتاج السينما التسجيلية وتدخلها ضمن إنتاج آخر هو الأفلام الروائية القصيرة (٧) .

ومسمى الدراما التسجيلية أو الدوكيودراما أدق وأقرب إلي الحقيقة لأن الفيلم الروائي القصير يختلف فى أهدافه ومفرداته وعناصره عن أهداف ومفردات وعناصر الدراما التسجيلية من حيث أن عناصر الأول كلها خيالية مؤلفة وأهدافه وكل مفرداته هي أهداف ومفردات السينما الروائية

بينما الأهداف والعناصر والموضوع فى الثانى تسجيلية غير خيالية وإن استخدم فيه بعض مفردات السينما الروائية .

ومن ناحية أخرى فإن الفيلم الروائي القصير قد يسمح فيه بالتجريب أو بالتجريد وهذا ما لا يسمح به فى الدراما التسجيلية التي تمثل نقلا صارما للواقع وتأتى براعة المخرج وكفاءته فى مدى نجاحه فى نقل الواقع بشكل يقنع المشاهد بالصدق وبعدم التزييف .

ولهذا يُفضل استخدام المصطلح الثانى وهو الدراما التسجيلية للتعبير عن الأفلام التسجيلية التي يستخدم فيها الممثل وقد أصبح هذا الشكل مألوفا فى بعض إنتاج السينما التسجيلية وأصبح ظهور الممثل المحترف فى الفيلم التسجيلي أمرا متكررا وخاصة الذي تنتجه محطات التليفزيون فى كثير من دول العالم (٨) .

وهنا ينشأ تساؤل عن مدى حرية المخرج التسجيلي فى استخدام الممثل ، **حيث أن هناك عدة محاذير لابد من وضعها فى الاعتبار تجاه ذلك :**

- فيجب فى البداية أن يكون واضحاً أن استخدام الممثل فى الفيلم التسجيلي لا يكون لمجرد إضفاء عنصر من عناصر التشويق للفيلم وإنما يكون ذلك لضرورة تتطلب الاستعانة بالممثل للتعبير عن شيء يصعب التعبير عنه بوسائل السينما المباشرة .
- كما يجب على المخرج الذي يضطر إلي استخدام الممثل فى فيلمه أن يتحكم فى أدائه بحيث لا يخرج عن الخط المطلوب لإبراز براعته فى التمثيل مما قد يفقد الوثيقة السينمائية بعض موضوعاتها وصدقها فإن أداء الممثل فى السينما التسجيلية يجب أن يعتمد على ظواهر موجودة فعلا فى الواقع أو كانت موجودة فعلا وأعيد بناؤها طبقا للأصل .
- وبالتالي يكون أداء الممثل له صبغة تسجيلية صارمة لا تحتمل أى تصرف تمثيلي خارج فالممثل هنا لا يقوم بتقمص شخصية خيالية غير موجودة أصلا وأوجدها مؤلف الرواية أو كاتب السيناريو وإنما يقوم بأداء دور لشخص موجود فعلا فى الواقع فهو يعيد من جديد أمام الكاميرا أحاسيس وحوادث حقيقية لا دخل للخيال فيها .

- ولهذا فإن المخرج التسجيلي وان جاز له استخدام الممثل المحترف فى فيلمه عند الضرورة فينبغي عليه تحاشى استخدام النجوم المشهورين الذين قد يغطى جمال أدائهم على الموضوع المعروض وان مجرد وجود النجم فى أي عمل تسجيلي قد يشد انتباه المتفرج فيشغله عن تتبع الموضوع وبذلك يفقد الفيلم موضوعيته ويدفع المشاهد إلي عدم الثقة فيما يعرض .
- وتتحدد حرية المخرج بعد ذلك فى استخدام الممثل تبعا لحاجة الموضوع وبقدر ما لا يتعارض مع الصدق والموضوعية وهذا لا يتأتى الا إذا كان الموضوع الذي يعالجه فى فيلمه يمثل قصة حقيقية مأخوذة من واقع الحياة .
- وأن تكون الأماكن التي تصور فيها مشاهد الفيلم هي نفس الأماكن الحقيقية فلا يتم استخدام الديكورات المبنية للتصوير الا فى أضيق الحدود وعند الضرورة كمثل حالة عدم وجود أماكن حقيقية كما هو الحال فى الأماكن التاريخية أو فى حالة استحالة التصوير فى الأماكن الحقيقية لأسباب قانونية أو أمنية أو لأى سبب آخر (٩) .

مراجع الفصل الثامن

(١) محمود سامى عطا الله , الفيلم التسجيلي , القاهرة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ١٩٩٥ , ص٧٣ .

(٢) المرجع السابق , ص ٧٤ .

(٣) نفس المرجع السابق , ص ٧٥ .

(٤) نفس المرجع السابق , ص ٦٧ .

(٥) نفس المرجع السابق , ص ٦٨ .

(٦) نفس المرجع السابق , ص ٦٩ .

(٧) نفس المرجع السابق , ص ٧. .

(٨) نفس المرجع السابق , ص ٧١ .

(٩) نفس المرجع السابق , ص ٧٢ .

تدريبات عملية علي الفصل الثامن

١ – ما خصائص الفيلم التسجيلي الدرامى ؟

٢ – اشرح مفهوم الدراما التسجيلية (الدوكيودراما) ؟

ضع علامة صح أمام الإجابة الصحيحة :

١ – في الفيلم التسجيلي الدرامى يقوم بتمثيل كل أو بعض الأدوار ممثلون مشهورون

( )

٢ – في الفيلم التسجيلي الدرامى ليس ضرورياً أن يتم التصوير فى الأماكن الحقيقية

( )